

QURANIC STORY APPROACH IN REFINING THE DESIRE BETWEEN MAN AND WOMAN

منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة

Ahmed Abedalqader Qatananyⁱ & Muhsen Sameeh Al-Khaldiⁱⁱ

ⁱ (Corresponding author). Senior Lecturer, Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia. ahmadabuanas079@gmail.com

ⁱⁱ Associate Professor, Department of Usul Al-Din, An-Najah National University, Palestine. mohsen.khaldi.01@gmail.com

Abstract	<p><i>This research explain the approach of Quranic story in refining desire between men and women by presenting many solutions. According to inductive and analytical method, Quranic verses related to the topic were collected in order to analyze, devise lessons from them, and follow methods mentioned. Methods presented by Quranic stories to refine the desire includes; covering private parts of the body, lowering the gaze (stare), avoiding mixed-gender sets, marriage as base for protecting vulva, showing positive examples of those who overstepped their desires, otherwise showing negative example for those who drowned in their desires to warn from them. Among the most important results highlighted, is that desire isn't a disease itself, and Quran presented the desire in a polite manner that doesn't aruse potential of instinct, but shows it as a fleeting moment of weakness.</i></p> <p>Keywords: <i>Quran, Rifining, Desire, Man, Woman.</i></p>
-----------------	---

<p>يهدف هذا البحث إلى بيان منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة، فالقرآن الكريم عرض حلولاً عديدة لذلك من خلال إيراده قصص القرآن. وقد سار هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع الدراسة، والرجوع إلى تفسيرها في الكتب القديمة والحديثة؛ لتحليلها واستنباط الدروس منها، وتتبع الأساليب المختلفة التي استخدمها القصص القرآني في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة. وبينت الدراسة المنهج المتكامل الذي قدمه قصص القرآن لتهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة، وملخصه الدعوة إلى ستر العورة، وغض البصر، وعدم الاختلاط، ودعا إلى الزواج بصفته الأصل لتحصين الفرج، وضرب للناس نماذج إيجابية لرجال ونساء، استعلوا على شهواتهم فكانوا قدوة حسنة للمتوسمين، وأخرى سلبية لمن غرقوا في شهواتهم؛ للتحذير منهم ومن أعمالهم. ومن أهم النتائج التي أبرزها</p>	ملخص البحث
---	-------------------

البحث، بيان أن الشهوة ليست مرضاً في حد ذاتها، وبيان العرض القرآني للشهوة بين الرجل والمرأة، حيث عرضها بطريقة مهذبة لا تثير كوامن الغريزة.	
الكلمات المفتاحية: القرآن، التهذيب، الشهوة، الرجل، المرأة.	

مقدمة

الذي ينظر إلى الواقع في هذه الأيام، يرى ما يفعله أهل الهوى ومتبعو الشهوات، من تزيين لها، وتحسين لصورتها، وتسميتها بغير اسمها، لتنال القبول عند الناس، ويشاهد ما يقومون به من إشاعة للفاحشة، ونشر للزبيلة، في كل مكان يصلون إليه، وبكل وسيلة يتمكنون منها؛ ليفتنوا الناس عن دينهم، ويجرفوا الشباب عن إسلامهم، حتى أصبح المتمسك بدينه كالمقابض على الجمر.

وهذا يجعل أهل العلم ملزمين للوقوف بحزم في وجه هذه الهجمة الشرسة التي تستهدف الدين والجيل، فهدانا الله بتوفيقه -إسهماً في ذلك- إلى الرجوع إلى قصص القرآن؛ لدراسته واستنتاج العبر والدلالات منه، واستنباط منهجه في قضية من أهم قضايا المجتمع، ألا وهي تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة التي هي من أخطر الشهوات. وخص البحث بذلك امتثالاً لأمر الله تعالى: "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"،^١ وسميناه ب: (منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة).^٢

وتنبع أهمية هذه الدراسة من بيانها للطريقة النظرية والعملية في تهذيب تلك الشهوة، التي انساق وراءها كثير من أبناء الأمة في هذا الزمان، وهم يطلبون حلولاً عملية، ومنهجاً منضبطاً، يقودهم إلى بر الأمان، وشاطئ النجاة. وفي هذا البحث الذي استلهم منهجه من القصص المذكور في كتاب الله ما يبتغون بإذنه تعالى، فالقرآن يصف الدواء للعليل فيشفى، ويضع الترياق للمريض فيبرأ، قال تعالى: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾.^٣

ولم يكتب في هذا الموضوع بشكل علمي مستقل أحد من قبل حسب اطلاعنا، وقد سبق هذا البحث بعدد من المؤلفات، تناولت الحديث عن الشهوات بشكل عام، أو عن بعض جوانبها، مثل كتاب (المعالجة الإسلامية للشهوات) للشيخ عبد الحميد كشك، وكتاب (الشهوة) لإبراهيم محمد الجمل، إلا أنهما كتيبان صغيران، صفحتاهما معدودة، لم يهدفا إلى الاستقصاء، ويؤخذ عليهما عددهما الشهوة مرضاً يحتاج للمعالجة، وقلة الحلول العملية المطروحة، والاستطراد في موضوعات ليس لها علاقة مباشرة بالعلاج، وثم كتاب ثالث موسوم بالأحكام الفقهية المتعلقة بالشهوة لعادل بن عبد الله المطرودي، وهو رسالة مقدمة لنيل درجة

^١ سورة الأعراف (١٧٦).

^٢ بحث مستقل مع التعديل عليه، من رسالة علمية للباحث أحمد عبد القادر حسن قطناني، بعنوان: منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات، بإشراف د. محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين، ٢٠١٢م.

^٣ سورة الإسراء (٨٢).

المجستير في الفقه من جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، اعتنى بالجوانب الفقهية للموضوع، في حين اعتنى هذا البحث بالجوانب الإيمانية والتربوية، واقتصر على الشهوة بين الرجل والمرأة فقط. وقد تم السير في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع الدراسة، والرجوع إلى تفسيرها في الكتب القديمة والحديثة؛ لتحليلها واستنباط العبر والدروس منها، وتتبع الأساليب المختلفة التي استخدمها القصص القرآني في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة. وتمثلت القصص التي عني البحث بها في:

١. قصة آدم وحواء عليهما السلام مع إبليس.
٢. قصة لوط عليه السلام مع قومه.
- ٣- قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز.
- ٤- قصة موسى عليه السلام في مدين مع الشيخ وابنتيه.

المبحث الأول: مفهوم الشهوة والتهذيب في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم " الشهوة " في اللغة والاصطلاح

مفهوم الشهوة في اللغة: بعد الرجوع إلى أمهات كتب اللغة والمعاجم اللغوية، لمعرفة معنى الشهوة، يتبين الآتي: الشهوة في اللغة هي الرغبة الشديدة، وتطلق أحياناً على القوة النفسانية الراغبة فيما يُشتهى، وتطلق كذلك على ما يشتهى من الملذات المادية، فيسمى المشتهى شهوة، والجمع شَهَوَات وأشهىة وشَهَى. وطعام شهى: أي مشتهى، واشتهى الشيء: اشتدت رغبته فيه، وتشهَى الشيء: اشتهاه وطلبه مرة بعد أخرى، والتشهى: اقتراح شهوة بعد شهوة، ويقال: رجل شَهِيّ وشَهَوَان: أي شديد الرغبة في الشيء، والرجل الشّهواني: الشديد الرغبة في الملذات المادية، ويقال للمرأة: شَهوى، والجمع شهاوى.^٤

والشهوة مرادفة للاشتهاء، وإذا أردت التفريق بين معنيي الشهوة والاشتهاء، قلت: "إن نسبة الأول إلى الثاني كنسبة الشوق إلى الاشتياق؛ لأن الأول يسكن باللقاء والثاني لا يزول به، وكذلك الشهوة فهي تسكن بالإشباع، أما الاشتهاء فلا ينتهي".^٥

^٤ انظر: محمد بن أحمد الأزهرى. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد خفاجي ومحمود العقدة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، ج: ٦، ص ٣٥٤. وأحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، ط ١، ج: ٣، ص ٢٢٠. وجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط ١، ج: ١٤، ص ٤٤٤. وإبراهيم مصطفى ورفاقه. المعجم الوسيط. إستانبول: دار الدعوة، ج: ١، ص ٤٩٨.

^٥ جميل صليبا. ١٩٨٢. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ١، ج: ١، ص ٧١١ - ٧١٢.

و"الشهوة" في الاصطلاح: تعددت تعريفات العلماء لمصطلح الشهوة، فقد عرفها الجرجاني بأنها: "حركة النفس طلباً للملائم"^(٦)، وعبر عنها المناوي بأنها: "نزوع النفس إلى محبوب لا تتمالك عنه"^(٧)، وأما الراغب الأصفهاني، فقال عنها في مفرداته: "أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: صادقة وكاذبة، فالصادقة: ما يحتل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة: ما لا يحتل من دونه"^(٨). ويجد المتأمل بعد استعراض التعريفات أن مدارها يتسق والمعنى اللغوي، فالشهوة: رغبة النفس الشديدة إلى مطالبها التي تلائمها وتحبها ولا تتمالك عنها، وقد راعى الراغب الجانب النفسي في تعريفه، فبين أن في الإنسان طاقة حيوية تتمثل في أمرين: هما الحاجات العضوية والغرائز، أما الحاجات العضوية كالحاجة إلى الطعام والشراب فإشباعها حتمي، إذا لم تُشبع يتعرض الإنسان للهلاك، وأما الغرائز كالجنس فإشباعها ضروري وليس حتمياً، بمعنى أن الإنسان لا يتعرض للهلاك إذا لم يشبعها، ولكنه يتعرض لاختلال التوازن أو عدم الصحة النفسية.

المطلب الثاني: مفهوم التهذيب في اللغة والاصطلاح

بعد الحديث عن مفهوم الشهوة في اللغة والاصطلاح، يتناول البحث هنا الحديث عن مفهوم التهذيب، وبعد الرجوع إلى أمهات كتب اللغة والمعاجم اللغوية، يتلخص الآتي:

التهذيب في اللغة: التنقية، والهاء والذال والباء: كلمة تدل على تنقية الشيء مما يعيبه، وهذّب النخلة: نقى عنها الليف، وهذّب الكلام: خلّصه مما يشينه، وهذّب الكتاب: خلّصه وحذف ما فيه من إضافات مقحمة أو غير لازمة، وهذّب الصبي: ربّاه تربية صالحة خالية من الشوائب. ويقال: رجل مهذّب: مُطهر الأخلاق، والمهذّب من الرجال: المخلص النقي من العيوب.^(٩)

وهكذا يجد المتفحص أن معنى التهذيب يدور حول التنقية والتخلية والتربية، والمطلوب من الإنسان المسلم أن يهذّب شهواته ويضبطها، لا أن يقمعها ويقتلعها، فالشهوات أمر مغرور في فطرة الإنسان، وليست مرضاً عضالاً أو معدياً أو مزمنياً، يحتاج للمعالجة والتمريض.

وهذا التهذيب يقي المسلم من الإفراط في الشهوات كما يقيه من التفریط. فكما أن إفراط الميلان الجنسي وتجاوزه حد الاعتدال ضار، كذلك كبته وتذليله فوق الحد المعقول ضار أيضاً.^(١٠)

^٦ علي بن محمد الشريف الجرجاني. ١٩٦٩ م. كتاب التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ص ١٣٥.

^٧ محمد عبد الرؤوف المناوي. ١٤١٠ هـ. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: عبد الحميد حمدان. القاهرة: عالم الكتب، ط ١، ص ٢٠٩.

^٨ الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. د.ت. المفردات في غريب القرآن. القاهرة: المكتبة التوفيقية. ط ١، ص ٢٧٠.

^٩ انظر: ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. ج: ٦، ص ٤٥. وابن منظور. لسان العرب. ج: ١، ص ٧٨٢. ومحمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس

من جواهر القاموس. بيروت: دار مكتبة الحياة، ط ١، ج: ١، ص ٥١٣. وإبراهيم مصطفى ورفاقه. المعجم الوسيط. ص ٩٧٩.

^{١٠} أبو الأعلى المودودي. الحجاب. بيروت: دار الفكر، ص ١٤٧-١٤٨ بتصرف.

غير أنه في اللحظة التي يشتدّ فيها لصوقه بالطين، يرتد ليصل إلى درجة أدنى من الحيوان، قال تعالى: "أولئك كالأنعام بل هم أضل"؛^(١١) لأن الحيوان لا إرادة له ولا وعي فيما يفعل، وليس له إلا طريق واحد يسلكه هو طريق الجسد.^(١٢)

وخلاصة القول: إن تهذيب الشهوات: هو ضبطها والتحكم فيها، وتطهير القلب وتنقيته من الآثار التي تترتب على اتباعها والانسحاق وراءها، لا أن تُزال وتُقتلع، ولا أن تتحكم هي في الإنسان فيصبح عديم الإرادة، بهيمي التفكير، ولكن بيّن بيّن، وهذا منهج الإسلام في سائر شؤونه (الوسطية). وهو أمر مطلوب شرعاً، ومقدور عليه عرفاً؛ لوجود نماذج بشرية راقية استعلت على شهواتها وضبطتها، ولم تعش في صومعة منعزلة عن الناس، إنما كانت تخالط الناس وتحيا في مجتمعهم متطهرة مصلحة.

المبحث الثاني: تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة في القصص القرآني

المطلب الأول: الدعوة إلى اللباس وستر العورة

لأهمية هذه المسألة؛ ولأنها الركيزة الأساسية الأولى التي تهذب الشهوة بين الرجل والمرأة، فقد ركز القرآن عليها في قصة أبينا آدم عليه السلام، صاحب التجربة الأولى، عندما انكشفت عورته، هو وزوجه حواء، وكان ذلك هو السبب الأول في الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض.

وجاءت الدعوة إلى الاهتمام باللباس وستر العورات في هذه القصة بطريقة مباشرة، وبتركيز كبير؛ إذ إنه تعالى أورد أربع آيات جليّة، للحدّ من هذه المسألة في أقل من صفحة في أول سورة الأعراف، فقال: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبيد لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾^{١٣} ثم قال: ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾^{١٤}.

وعقب على القصة ممتناً على عباده قائلاً: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾^{١٥} ثم حذر من هذه الخطيئة ومن مسببها فقال: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾^{١٦} وقد أشارت إليه سورة طه أيضاً.^{١٧} كل تلك الآيات تدعو المسلمين إلى الاهتمام بقضية اللباس؛ لستر عوراتهم وسواتهم وعدم كشفها، وتبين امتنان الله على عباده بإنزال اللباس عليهم ليتستروا به، وليتقوا به الحرّ والقرّ، وليتزينوا به أيضاً، وتوضح

^{١١} سورة الأعراف (١٧٩).

^{١٢} محمد قطب. ١٩٨٠ م. دراسات قرآنية. بيروت: دار الشروق، ص ١١٧ بتصرف.

^{١٣} سورة الأعراف (٢٠).

^{١٤} سورة الأعراف (٢٢).

^{١٥} سورة الأعراف (٢٦).

^{١٦} سورة الأعراف (٢٧).

^{١٧} سورة طه الآيات (١١٨ - ١٢٢).

حكمة الله تعالى في عدم جعل الناس عراة، وتبين أن كشف العورات خطيئة وكبيرة، يفعلها بعض الناس اليوم كما فعلها من قبلهم العرب الجاهليون، لما كانوا يطوفون بالبيت عراة.

فقد ثبت في صحيح مسلم عن ابن عَبَّاسٍ، قال: {كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عُريانة فتقول مَنْ يُعِيرُنِي تَطَوُّافًا، تجعله على فرجها، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أُجِلُّه، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾^{١٨}.^{١٩}

والذي ينظر إلى هذا الفعل الشنيع يستغرب منه جداً؛ لتناقضه مع ما يدعونه من تعظيم البيت، والتسابق في سدائه وعمارته وسقاية الحاج، والحق أنها طريقة تنفر منها الفطرة السليمة المستقيمة في حق الرجال، وتزداد قبحاً وشناعة في حق النساء.

ولعل ذكر قصة آدم عليه السلام حينئذ في مكة؛ للإيدان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من قِبَل الشيطان، وأنه أغواهم كما أغوى أبويهم فليحذروا.^{٢٠}

وفي هذا حكاية لابتداء عمل الإنسان لستر نقائصه، وتخيُّله على تجنُّب ما يكرهه، وعلى تحسين حاله بحسب ما يُخَيَّلُ إليه خياله، وهذا أوّل مظهر من مظاهر الحضارة أنشأه الله في عقلي أصلي البشر، فإنهما لما شعرا بسوّاتهما وحدث في نفوسهما الشّعور بقبح بروزها، فشرعا يخفيانها عن أنظارهما استبشاعاً وكراهيةً، وإذ قد شعرا بذلك بالإلهام الفطري، حيث لا ملقن يلقنهما ذلك، تَقَرَّرَ في نفوس النَّاسِ أنَّ كشف العورة قبيح في الفطرة، وأنَّ سترها متعيّن.^{٢١}

ففي هذه الآيات دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم عليه السلام، وأن ذلك من عظام الأمور، وأنه لم يزل مُستهجنًا في الطباع، ومُستقبحًا في العقول.^{٢٢}

وفيها دليل أيضاً على وجوب ستر العورة. قال القرطبي: "هذه الآية دليل على وجوب ستر العورة، لأنه قال: "يؤاري سواتكم"، وقال قوم: إنه ليس فيها دليل على ما ذكره، بل فيها دلالة على الإنعام فقط، قلت: والقول الأول أصح. ومن جملة الإنعام ستر العورة.^{٢٣}

^{١٨} سورة الأعراف (٣١).

^{١٩} مسلم: صحيح مسلم. كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: خذوا زينتكم عند كل مسجد، ص ١٤٧٩، رقم الحديث: ٧٤٤٥.

^{٢٠} انظر: عبد الله بن عمر البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، ط ١، ج: ٦، ص: ٢٠. ومحمد بن محمد أبو السعود. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ج: ٢، ص ٢٢٢.

^{٢١} محمد الطاهر بن عاشور. ١٩٩٧م. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون، ط: ١، ج: ٨، ص ٦٤. بتصرف.

^{٢٢} انظر: محمود بن عمر الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل. بيروت: دار المعرفة، ط ١، ج: ٢، ص ٧٢. ومحمد بن عمر الرازي. التفسير الكبير. طهران: دار الكتب العلمية، ط ١، ج: ١٤، ص ٤٩.

^{٢٣} محمد بن أحمد القرطبي. ١٣٨٧هـ. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتاب العربي، ج: ٧، ص: ١٨٢.

فيتأكد إذن - بعد نقل كلام القرطبي - أن هذه الآية دليل على وجوب ستر العورة، وقد دلت على ذلك آيات أخرى كثيرة.^{٢٤}

ويقول الطبري في تفسيره بعد أن ذكر أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: "ولباس التقوى": "وإنما قلنا: عنى بلباس التقوى: استشعار النفس والقلب ذلك؛ لأن اللباس اذراع ما يلبس، واحتباء ما يكتسى، أو تغطية بدنه أو بعضه به، فكل من اذرع شيئاً أو احتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه، فهو له لابس، ولذلك جعل جلّ ثناؤه الرجال للنساء لباساً، وهن لهم لباساً، وجعل الليل لعباده لباساً".^{٢٥} فلباس التقوى لا يقل أهمية عن لباس الجسد الساتر للعورة، بل هو خير منه.

وإن حب التعري وكشف الجسد مغاير لشرع الله وفطرته، وهو نزوة تنحط عن النزعة الإنسانية إلى النزوات البهيمية، وقد أشار سيد قطب إلى أن الذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى، ومن الحياء من الله ومن الناس، فهؤلاء هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته، وخصائص إنسانيته، ذلك أن العري فطرة حيوانية، ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان، وإن رؤية العري جمالاً هو انتكاس في الذوق البشري قطعاً.^{٢٦}

ويخلص هذا المطلب إلى التأكيد على اهتمام قصص القرآن بمسألة اللباس وستر العورة، بصفتها مظهراً مهماً يساعد المسلم على تهذيب الشهوة المكنونة فيه، فإذا ما ستر المسلم والمسلمة جسديهما، ولم يبرزتا مفاتنهما، والتزما أمر الله بعدم كشف العورة، أو أي جزء منها، فإن ذلك يساعد على غض البصر، ويقلل من الطموح إلى الاختلاط بالجنس الآخر، وهذا حديث المطلب التالي إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: الدعوة إلى غض البصر وعدم الاختلاط

دعا قصص القرآن إلى تغطية الجسد باللباس الساتر للعورة بطريقة مباشرة لا تحتاج إلى كثير تأمل، والهدف الرئيس من ذلك هو منع الرجال والنساء من النظر بعضهم إلى بعض بشهوة، ومنع الاختلاط الذي يؤدي إلى الفساد والفتنة. وفيما يأتي عرض للآيات التي يمكن أن يستنبط منها أهمية غض البصر وعدم الاختلاط، بصفتها وسيلتين ضروريتين في تهذيب الشهوة.

ففي قصة آدم وحواء عليهما السلام يقول تعالى: ﴿بَدَت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفا علىهما من ورق الجنة﴾.^{٢٧} فهذه الآية تبين فعلهما عندما كُشفت سوءاتهما، وتشير إلى وجوب غض البصر عنهما؛

^{٢٤} منها: قوله تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن سورة الأحزاب (٥٩)، وقوله تعالى: "والذين هم لفروجهم حافظون". سورة المؤمنون (٥) وسورة المعارج (٢٩).

^{٢٥} محمد بن جرير الطبري. ١٩٧٨م. جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة، ط ٣، ج: ٨، ص ١١٢.

^{٢٦} ينظر: سيد قطب. ١٣٩١هـ. في ظلال القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٧، ج: ٣، ص: ٤٩٣.

^{٢٧} سورة الأعراف (٢٢)، وسورة طه (١٢١).

لأنهما ما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، إلا لأنهما لا يريدان أن ينظر إليهما أحد، وهما في هذه الحالة، وإلا لماذا حصل منهما هذا التصرف لو لم يكن في الأمر ما يعيب؟

ويقول أيضاً: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾^{٢٨}. وهذه تبين أن الشيطان يريد من بني آدم أن يتكشفوا، لينظر بعضهم إلى بعض كما وسوس لأبويهم من قبل، وهذه دعوة إلى مخالفة الشيطان، وغيض البصر عن العورات والسوءات.

وفي قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز والنسوة في القصر، دليل واضح على أن النظرة الشهوانية والاختلاط بسبب الوقوع في الفواحش ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾^{٢٩}.

فعندما كان يوسف عليه السلام في مرحلة الطفولة، نظرت إليه امرأة العزيز كأبي طفل جميل، أما بعد البلوغ فقد تغير حالها، وأخذ خيالها يسرح، وقلبها يعشق، ونفسها تنزع إلى الفاحشة. ولو كانت محجوبة عنه لما حدثت الغواية، وهذا يعطي علة غرض البصر عن المثيرات الجنسية.^{٣٠}

ويرى الباحثان أن مراودة امرأة العزيز ليوسف، وجرأتها في تغليق الأبواب وقولها هيت لك، لم يأت إلا بعد طول مخالطة، وطول نظر ومراقبة، وإن كان يوسف عليه السلام غير راضٍ وغير مرتاح، لأنه ترى على يد نبي الله يعقوب عليه السلام، غير أن امرأة العزيز لم تكن كذلك.

ويلاحظ كذلك أن النسوة اللاتي سمعن الخبر عبن على امرأة العزيز شغفها بفتاها، ﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾^{٣١}، لأنهن لم يرينه ولم يختلطن به، فلما عرضته عليهن وأطلقن العنان لأبصارهن شغفن به وفتنن، وفي هذا دليل على أن إطلاق البصر والاختلاط هو الذي يثير الشهوات، ويؤدي إلى فعل الفواحش والمنكرات. ولعل الدرس الأول الذي يأخذه قارئ القصة، خطر الاختلاط على الحياة الأخلاقية، وخاصة إذا كان متكرراً والوقت طويل، ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الْحَمْمُ الْمُؤْتُ"^{٣٢}. والعادات الاجتماعية

^{٢٨} سورة الأعراف (٢٧).

^{٢٩} سورة يوسف (٢٣).

^{٣٠} محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم)، ط ١، ج: ١١، ص ٦٩٠٢. بتصرف.

^{٣١} سورة يوسف (٣٠).

^{٣٢} البخاري. ١٣٩٨هـ. صحيح البخاري. كتاب النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، ص ١١١١، رقم الحديث ٥٢٣٢. ومسلم: صحيح مسلم. كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية. ص ١٠٩٠، رقم الحديث: ٥٥٦٧. و"الحمو: مفرد الأحماء، وهم أقارب زوج المرأة كأبيه، وعمه، وأخيه، وابن أخيه، وابن عمه، ونحوهم... والمراد هنا أقارب الزوج غير آباءه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها". يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت: دار الفكر، ط ٣، ج: ١٤، ص ١٥٤. وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ١٣٩٨هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. مراجعة طه عبد الرؤوف سعد وآخرون. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ج: ١٩، ص: ٣٩٥.

تستهجن أن يُردّ الأخ عن بيت أخيه إذا لم يكن هو فيه، والحق أحق من العادات بالاتباع، ورضا الله أحق أن يُحرص عليه، ومن ترك من أحكام دينه شيئاً دفع ثمن الترك غالباً".^{٣٣}

وفي قصة موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين، فوجد الرعاة يسقون، ووجد من دونهم امرأتين مبتعدتان تمنعان غنمهما عن ورود الماء، درس كبير في العفة والحياء والصلاح، فهما رفضتا الاختلاط مع الرجال ومزاحمتهم، مع أن هذا الرفض يكلفهما مزيداً من الجهد والوقت.

وحينما تقدّم موسى عليه السلام وقال: ﴿ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾.^{٣٤} "كان تقدّمه بسبب تعجبه ونفوره من هذا المشهد الذي رآه؛ إذ الواجب السقي للمرأتين أولاً ومساعدتهما، ومع ذلك فإنك تلحظ في سؤال موسى وجواب المرأتين القصد والاختصار وتقليل الكلام والتخاطب والحوار".^{٣٥}

ولما رجعتا إلى أبيهما، وأخبرتا بالخبر، طلبت إحداهما من أبيها استئجاره للعمل عندهم، ويلمح سيّد قطب من خلال هذا القول "أنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال، وهي تتأذى وأختها من هذا كله، وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى البيت، امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى. والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبدّل الناشئ من هذه المزاحمة".^{٣٦} ومهما يكن من أمر، فالمطلب هنا يتلخّص في أن قصص القرآن دعا إلى غض البصر وإلى عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، بأسلوب يعطي العبرة والعظة، ولا شك في أن هذين العنصرين منطلقان أساسان في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة.

المطلب الثالث: الحث على الزواج

أشار البحث فيما مضى إلى ركائز رئيسة من منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة الجنس، وهي الدعوة إلى اللباس وستر العورة، وإلى غض البصر وعدم الاختلاط. وهذه الركائز لها أهمية كبيرة تساعد في التحكم بالشهوة وضبطها، إلا أن الحل الأساسي المعين في تهذيبها هو الزواج، فهو أغض للبصر وأحصن للفرج،^{٣٧}

^{٣٣} أحمد نوفل. ١٤٠٩هـ. سورة يوسف دراسة تحليلية. الأردن: دار الفرقان، ط ١، ص ٣٣٨.

^{٣٤} سورة القصص (٢٣).

^{٣٥} صلاح عبد الفتاح الخالدي. ١٤٢٨هـ. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ط ٢، ج: ٢، ص ٣٢٨.

^{٣٦} سيد قطب. في ظلال القرآن. ج: ٦، ص ٣٣٨.

^{٣٧} مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". البخاري. صحيح البخاري. كتاب النكاح، باب: قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ص ١٠٧٩، رقم الحديث (٥٠٦٥). ومسلم. صحيح مسلم. كتاب النكاح، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ص ٦٥٠، رقم الحديث (٣٢٨٨).

وهو الذي يساعد على ستر العورة أيضاً، وبالزواج يشبع المرء شهوته بالحلال، لذا فهو الأصل الذي يعين المسلم على ترك الزنا ومقدماته.

وفي القصص القرآني ما يدعو إلى ذلك صراحةً؛ فهذا سيدنا لوط عليه السلام الذي بعثه الله إلى القوم الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء، يقول لهم في أكثر من موضع من كتاب الله: ﴿هؤلاء بناتي هن أظهر لكم﴾^{٣٨}، ويكرر عليهم ذلك بقوله: ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾^{٣٩}. يريد لوط عليه السلام أن يوجه قومه إلى الفطرة، وأن يرشدهم إلى الزواج فهذا أزكى وأطهر مما يقومون به. فقد دعا لوط قومه إلى الأصل الذي يجب عليهم أن يرجعوا له، وترك شذوذهم الجنسي المقيت، دعاهم إلى الزواج لأن هذا هو الأمر الطبيعي لتفريغ الشهوة عند كل من الرجل والمرأة. وهذه الدعوة - كما تقال للشاذين جنسياً - فهي تُقال كذلك لمن وقع في الزنا أو كاد، فالزواج هو الذي أحلّه الله، وأما السفاح فحرمه، ومن فعل المشروع وخالف المحذور عَفَّ نفسه، وحصن فرجه، ووقى جسده من الأمراض التناسلية الخبيثة التي تنتج عن الشذوذ والزنا.

وفي قصة موسى عليه السلام في مدين دروس أخرى مفيدة للراغبين في تهذيب شهوتهم، فابنة الشيخ الكبير طلبت من أبيها أن يستعمله، ففهم مرادها واستجاب لها.

وهذه دعوة لمن أراد قضاء الوطر، ونيل اللذة، وتفريغ الشهوة، إلى أن يتوجه الوجهة الصحيحة التي توافق مقتضى الفطرة السليمة، ليتوجه إلى الزواج بدون حرج ولا تكلف، فهذا أمر مغرور في النفس الإنسانية لا إثم فيه ولا حرج.

وهذا التوجه الصحيح يجعل الفتى والفتاة يسلمان مما يقوم به البعض ممن يُسمَّون "العشاق" حيث يتواعدون سراً، ويتهايمسون عبر وسائل الاتصال المختلفة، ويتبادلون كلام الغزل والعشق في الخفاء، ويتفقون على مواعيد اللقاء، وعندها قد يقع المحذور والمحذور والعياذ بالله، قال تعالى محذراً وناهياً للشباب والبنات: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾^{٤٠}، ﴿محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾^{٤١}. والدرس الآخر الذي يُستنبطن القصة هو جواز عرض الولي ابنته على الرجل الصالح لخطبتها، وهذه سنة اتبعت قديماً، وأعرض عنها حديثاً - للأسف - والسبب في ذلك هو ضعف الإيمان في النفوس، ففي هذه القصة عرض صالح مدين ابنته على صالح بنى إسرائيل موسى عليه السلام، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين^{٤٢}.

^{٣٨} سورة هود (٧٨).

^{٣٩} سورة الحجر (٧١).

^{٤٠} سورة النساء (٢٥).

^{٤١} سورة المائدة (٥).

^{٤٢} ينظر: البخاري. صحيح البخاري. كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ص ١٠٨٩، رقم الحديث (٥١٢٢).

لذا فمن الحسن والمستحب عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداءً بالسلف الصالح رضي الله عنهم.^{٤٣} والهدف من ذلك الإسراع في منع الفتاة والشاب من الانسياق وراء شهوته، أو وساوس الشياطين.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى قول سيد قطب، الذي يصف فيه الواقع بناء على ما فهم من قصة موسى عليه السلام مع الشيخ وابنتيه، حيث عرض الرجل إحدى ابنتيه ببساطة وصراحة من غير تحديد، وفي غير تحرج ولا التواء. فهو يعرض نكاحاً لا يُحجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يحجل، ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد، ومن مفارقات هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدثون ويختلطون وينكشفون بعضهم لبعض في غير ما خطبة ولا نية نكاح، فأما حين تعرض الخطبة أو يذكر النكاح، فيهبط الخجل المصطنع، وتقوم الحوائل المتكلفة، وتمتنع المصارحة والبساطة والإبانة.^{٤٤}

وتعقيباً على كلامه ينبغي القول: إنه لا يليق قول المرأة أو وليها إن عرض المرأة نفسها، أو عرض وليها لها، يهينها ويقلل من قيمتها ومنزلتها عند زوجها؛ لأن العرض مقيد بأن يكون على الرجل الصالح، الذي إن أحب زوجته أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

وخلاصة المطلب أن الزواج أصل أصيل في تهذيب الشهوة، وما ذكر سابقاً من دعوة إلى ستر العورة، وغض البصر، وعدم الاختلاط- وما سيذكر لاحقاً- عوامل مساعدة في التهذيب إلى أن يتم الزواج، فإذا تزوج الفتى أو الفتاة، فإنه يستر عورته، ويغض بصره، ويحصن فرجه، وهذا مبتغى التهذيب.

أما إن تعدى بعض المتزوجين حدود الله، فكشفوا عوراتهم، وأطلقوا أبصارهم، ولم يروا بأساً في اختلاط الرجال مع النساء، فأولئك لهم وسائل وأساليب أخرى قد تنفعهم في تهذيب شهواتهم، مثل (الذم والإنكار، والتحذير، والتهديد) يأتي بيانها في المطلب القادم بإذن الله.

المطلب الرابع: التحذير والتهديد والذم والإنكار على الشهوانيين المنحرفين

يتحدث هذا المطلب عن أسلوب تربوي ضمن منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوة الجنسية، فالتحذير والتهديد والذم والإنكار هي أساليب وقائية ساقها القرآن الكريم ليصرف الناس عن الانسياق وراء الشهوات غير الشرعية، والوقوع في آثاتها.

فجانب التحذير والتهديد يقي من الوقوع في الفواحش، لمن يفكر في عواقب الأمور، ويخاف على نفسه أن يجل به عذاب الله. وقد حذر القرآن الكريم في قصصه من الشيطان، ومن النفس الأمارة بالسوء، ومن متبعي الشهوات.

^{٤٣} انظر: وهبة الزحيلي. ١٤١١ هـ. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. بيروت: دار الفكر المعاصر، ط ١، ج: ٢٠، ص ٨٨.

^{٤٤} قطب. في ظلال القرآن. ج: ٦، ص ٣٣٩. بتصرف.

فحذر من الشيطان الذي وسوس لآدم وحواء عليهما السلام، فنزع عنهما لباسهما ليريحهما سواتهما، وأخرجهما من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض، فقال معقباً على القصة، ومخدراً بني آدم من فتنة الشيطان ومكره: ﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان﴾.^{٤٥}

يقول الشنقيطي في "أضواء البيان"^{٤٦}: "حذر تعالى في هذه الآية الكريمة بني آدم أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم، وصرح في موضع آخر أنه حذر آدم من مكر إبليس قبل أن يقع فيما وقع فيه، ولم ينجه ذلك التحذير من عدوه، وهو قوله تعالى: ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾.^{٤٧} وفي هذا درس آخر مهم لمتبعي الشهوات، أنه ليس عند الله محاباة لأحد، فحتى آدم النبي أول البشر لم يحابه الله تعالى فكيف بنا نحن.

وعند الحديث عن قصة مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، يتضح أن الشيطان لم يستطع إغواءه؛ لأنه عندما توعد بإغواء بني آدم استثنى المخلصين ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾.^{٤٨} وقد قال الله تعالى عن يوسف: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.^{٤٩} ولا يخفى ما في التعبير بالجملة الاسمية من الدلالة على انتظامه في سلك أولئك العباد من أول الأمر، لا أنه حدث له ذلك بعد أن لم يكن، وفي هذا عند ذوي الألباب ما ينقطع معه عذر أولئك المتشبهين بأذيال هاتيك الأخبار التي ما أنزل الله بها من كتاب".^{٥٠}

وحذرت قصص القرآن من اتباع النفس الأمانة بالسوء، ففي القصة نفسها بعدما اتضحت الحقيقة، وتبين أنها المراودة، وأن يوسف سجن ظلماً، قالت امرأة العزيز^{٥١}: ﴿وما أبرؤ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾.^{٥٢}

وفي هذا تحذير من طاعة النفس الأمانة بالسوء، وتأکید على أنها قد تجر إلى الويلات، وكثير من الناس يلقي باللائمة على الشيطان إن ارتكب إثماً، أو اقترب معصية، ويعفي نفسه الأمانة بالسوء من ذلك، وهذا جهل من الناس بطبيعة أنفسهم، ففي شهر رمضان ترتكب المعاصي على الرغم من أن الشياطين

^{٤٥} سورة الأعراف (٢٧).

^{٤٦} محمد الأمين الشنقيطي. ١٣٨٦هـ. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج: ٢، ص ٢٦٥.

^{٤٧} سورة طه (١١٧).

^{٤٨} سورة ص (٨٢-٨٣).

^{٤٩} سورة يوسف (٢٤).

^{٥٠} شهاب الدين السيد محمود الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج: ١٢، ص ٢١٧. بتصرف. ويقصد بالأخبار تلك الإسرائيلية التي ذكرت الأقاويل عن يوسف عليه السلام.

^{٥١} اختلف العلماء في قائل هذا القول: هل هي امرأة العزيز أم يوسف؟ قال ابن كثير: "والقول الأول أظهر وألحق؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عندهم؛ بل بعد ذلك أحضره الملك". إسماعيل بن عمر بن كثير. ١٣٨٨هـ. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج: ٢، ص ٤٨٢.

^{٥٢} سورة يوسف (٥٣).

مصفدة، والسبب في ذلك فساد النفس وخبثها، وأنها هي التي تقود في كثير من الأحيان إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات.

وحدّر القرآن الكريم كذلك من أصحاب السوء ومتبعي الشهوات: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾.^{٥٣}

ويستنبطن قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾. التحذير من الأمراض التناسلية الفتاكة، التي تحل بالزناة والشواذ جنسياً، مثل الزهري، والسيلان، والإيدز، وغيرها، والتهديد بها لمن يستغرق في شهوته ويرتكب تلك الفواحش، لذلك فإن الذي يضع شهوته في محلها يُعاقب ويَطْهَرُ، أما من يضعها في غير موضعها فليحذر العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

ويُستنتج - بعد هذا العرض - أن التحذير من وساوس الشياطين، وهو اجس النفس الأمارة بالسوء، وأوامر متبعي الشهوات، يُعدّ عاملاً مهماً في تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة، فمن يعص أولئك ويطع الله تعالى، فإنه لن ينغمس في الشهوات، ولن يغرق في بحرها إلى قعره، بل سيتحكم بها ويضبطها على مقتضى أوامر الله وشرعه.

وأما التهديد بالعذاب والعقوبة، فيجده القارئ واضحاً جلياً في قصة سيدنا لوط عليه السلام مع قومه الذين كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل إنهم طلبوا منه ذلك العذاب الذي كان يتوعدهم به بألسنتهم، قال تعالى عنهم: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾.^(٥٤) وقد كان عذابهم شديداً مناسباً لجرمهم ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾.^{٥٥} وما أعظم حكمة الله تعالى في هذا القلب الذي هو أشبه شيء بما كانوا عليه من إتيان الأعجاز، والإعراض عما تقتضيه الطباع السليمة".^{٥٦}

وفي ذلك تهديد لجميع الناس الاقتراب من هذه الرذيلة، وما كان على شاكرتها؛ حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب قوم لوط، فقد عقب القرآن بعد ذكره ما حلّ بقوم لوط من العذاب بقوله: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾.^{٥٧} ولقد ترك الله آثار هذه القرية عبرةً وعظةً لمن كان له قلب: ﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾.^{٥٨}

^{٥٣} سورة النساء (٢٧).

^{٥٤} سورة العنكبوت (٢٩).

^{٥٥} سورة هود (٨٢).

^{٥٦} الآلوسي. روح المعاني. ج: ١٢، ص: ١١٣.

^{٥٧} سورة هود (٨٣).

^{٥٨} سورة الذاريات (٣٧).

وأما جانب الذم والإنكار، فمما جاء على لسان الأنبياء، إنكار لوطعليه السلام على قومه، وقد ساقه القرآن في آيات كثيرة، وبأساليب مختلفة، منها الاستفهام الإنكاري، والذم بصفات غير محبة للنفس السليمة، واستثارة النخوة والشهامة وغيرها.

ففي سورة الأعراف، عاب عليهم أنهم جاءوا ببدع من الفاحشة لم تكن في أسلافهم، وذمهم بالإسراف وتجاوز الحد، فقال لهم: ﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾.

وفي سورة هود، ذكّهم بالله، وأثار فيهم النخوة والحمية، ووجوب إكرام الضيف لا إهانتته، وذم رجولتهم وعقلهم، فقال لهم: ﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾.

وفي سورة الشعراء، أنكر عليهم فعلهم، ووصفهم بأنهم عادون متجاوزون حدود الفطرة السليمة: ﴿أتأتون الذكران من العالمين، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾.

وفي سورة النمل، أنكر عليهم إتيانهم الفاحشة على مرأى بعضهم البعض، وذمهم بالجهل والسفه؛ إذ لا يقوم بهذا الفعل إلا جاهل سفيه، قال لهم: ﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون، أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾.

وفي سورة العنكبوت، أنكر عليهم جميع أعمالهم القبيحة، فقال لهم: ﴿أتئنم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾.

ويجد المتأمل في هذه الآيات أن لوطاً عليه السلام وظف جميع الأساليب التي يمكن أن تحذو بأولئك إلى إجابته، وتهذيب شهوتهم الجنسية والرجوع بها إلى الفطرة السليمة، غير أنهم أبوا ورفضوا، فحلّ بهم العذاب الأليم.

والاستفهام الذي حصل من سيدنا لوطعليه السلام هو استفهام تقييد، واستفهام إنكار، فهو لم يقل لهم: إن الله يقول لكم: امتنعوا عن هذا الفعل، بل هو يستنكر الفعل؛ لأنه عمل مناقض للفطرة، ويدل على هذا أنه كان يسألهم سؤالاً إنكارياً ليحرجهم، علّمهم يثوبون إلى رشدهم.^{٥٩}

ومن العجيب حقاً، تركيز القرآن على هذه القصة، بالرغم من عدم انتشار ذلك في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الله يعلم أنه سيأتي زمان مثل زماننا، تصبح الدعوة إلى الشذوذ وممارسته حرية شخصية، بل وتسند القوانين المشرعة لذلك، فعندها يزول العجب.

ومما جاء على لسان غير الأنبياء -هنا ليس من المسلمين أيضاً، وهذا يدل على أن إشباع الشهوة في خارج الإطار الشرعي غير مقبول فطرياً- إنكار العزيز^{٦٠} على امرأته بعدما راودت يوسف، فقال لها:

^{٥٩} الشعراوي. تفسير الشعراوي. ج: ٧، ص ٤٢٢٥، بتصرف.

^{٦٠} اختلف العلماء في قائل هذا القول: هل هو العزيز أو الشاهد؟، فقد رجح ابن كثير الأول. تفسير القرآن العظيم، ج: ٢، ص ٤٧٦.

﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾^{٦١} فقد وصفها بأنها مخطئة في ما اقترفت، وهذا الذنب يحتاج منها إلى استغفار.

ومهما يكن من أمر، فالذم والإنكار من الأساليب التربوية المهمة، التي تعين المسلم في تهذيب الشهوة، فالنفس جُبلت على حب المدح وكره الذم، فإذا ذمها أحد وأنكر عليها فعلها، اشتمزت بفطرتها مما تقوم به، فارعوت وامتنعت.

المطلب الخامس: الاستعانة بالله واللجوء إليه

إن جميع الوسائل والأساليب السابقة تعين على تهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة، غير أن المسلم لا بد له من ملجأ يأوي إليه، وركن يستعين به في هذا الطريق الطويل، يأخذ بيديه، ويثبت فؤاده، ويربط على قلبه، ويعينه على ضبط شهوته والتحكم بها، والله خير من تُوكَّل عليه، ولجئ إليه، بل لا يُتوكَّل ولا يُعتمد إلا عليه، ولا يُلجأ ولا يستعان إلا به.

ولا يستطيع أي امرئ - كائناً من كان - أن يقاوم المغريات، وأن يضبط الشهوات دون عون الله، والإيمان به، والاعتماد عليه، والمعتد بنفسه خاسر مهما بلغت قوته واجتهاده.

إذ لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده^{٦٢}

فهذا آدم وحواء عليهما السلام رجعا عما طمعا فيه، ووقفا لديه، وعلموا أن لا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه، فقالا: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. ويلمح في دعائهما، طلب العون من الله أن يثبتهما فلا يعودا إلى ما فعلا، وأن يضبطا شهوتهما فلا تفودهما إلى المحذور. وها هو لوط عليه السلام جأر إلى الله بالدعاء، أن ينجيه وأهله من فعل قومه، الذين كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، فقال: ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾^{٦٣} وعندما أنكر عليهم فعلهم، فرفضوا وطلبوا العذاب، قال: ﴿رب انصربي على القوم المفسدين﴾^{٦٤} فالآية الأولى استعانة بالله للنجاة من الفواحش ومن فعلها، والآية الثانية استنصار بالله على أهل الشهوات ومتبعيها. وأما يوسف عليه السلام فقد لجأ إلى الله تعالى مستعيذاً به عندما راودته امرأة العزيز، فقال: ﴿معاذ الله﴾^{٦٥} وهذا القول استعانة بالله وطلب حمايته؛ ليثبتته على دينه، وينجيه من كيدها.

^{٦١} سورة يوسف (٢٩).

^{٦٢} علي بن أبي طالب. ١٤٢٦ هـ. ديوان علي بن أبي طالب. جمع وتحقيق يحيى مراد. القاهرة: مؤسسة المختار، ط ١، ص ٦٦.

^{٦٣} سورة الشعراء (١٦٩).

^{٦٤} سورة العنكبوت (٣٠).

^{٦٥} سورة يوسف (٢٣).

وعندما جمعت امرأة العزيز النسوة، وقالت له: اخرج عليهن، وهددته بالسجن إن لم يُطع، فما كان منه إلا أن دعا الله: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.^{٦٦}

"إنه بين يدي كيد يكاد له، وفتنة ملحة تتبدى أمام ناظره، وتجيء إليه بكل مغرياتهما، وهو بعد إنسان معه قلبه وشبابه وشهوته. وإنه في دينه ومروءته ليؤثر السجن على ما يدعونه إليه من إثم، ولكن للاحتمال طاقة، وللصبر حد، ولن يمسك على دينه، ويدفع عنه هذا البلاء الذي لا يُحتمل، إلا عون يعينه الله به، وقوة يضيفها الله إلى قوته".^{٦٧}

وفي ختام هذا المطلب، نلاحظ أن جميع تلك الأدعية استُجيب؛ لأن الله أحق من دُعي وأكرم من أجاب، فهو لا يخيب من دعاه، ولا يضيق من رجاه.

والذي يستعين به ويلجأ إليه؛ ليعينه على تهذيب شهوة الجنس، ويقيه من الفواحش المترتبة على الانغماس فيها، والانجرار وراءها، فإنه -لا شك- سيستجيب له ويعينه، ويحفظ من الوقوع في الفواحش والمنكرات، فهو الذي وعد عباده بالإجابة في قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾.^{٦٨} وآخر ما يمكن أن نختم به بحثنا، الإشارة إلى أن قصص القرآن كان يعرض مواقف الشهوة غير الشرعية بين الرجل والمرأة، على أنها لحظة ضعف لا لحظة بطولة. فهي لحظة لا تستأهل الوقوف عندها بأكثر من مجرد الذكر، إنها ليست هي الحياة، إنها عارض يُعرض وينقضي؛ ليفسح المجال لأهداف الحياة العليا الجديرة بالتحقيق.^{٦٩}

الخاتمة: وفيها أهم النتائج

١. تهذيب الشهوات: هو ضبطها والتحكم فيها، وتطهير القلب وتنقيته من الآثار التي تترتب على اتباعها والانسياق وراءها، حتى لا تتحكم فيه فيصبح عديم الإرادة، بهيمي التفكير.
٢. الشهوة طبيعة في الإنسان، وجزء من تكوينه، وليست مرضاً يحتاج إلى معالجة، وإنما إلى تهذيب وتوجيه.
٣. عرض القرآن في قصصه منهجا متكاملا لتهذيب الشهوة بين الرجل والمرأة.
٤. اهتمت قصص القرآن بمسألة اللباس وستر العورة، بصفتها مظهراً مهماً يساعد المسلم على تهذيب الشهوة المكنونة فيه، فإذا ما ستر المسلم والمسلمة جسديهما، ولم يبرزتا مفاتنهما، والتزما أمر الله بعدم كشف العورة، فإن ذلك يساعد على غض البصر، ويقلل من الطموح إلى الاختلاط بالجنس الآخر.

^{٦٦} سورة يوسف (٣٣).

^{٦٧} عبد الكريم الخطيب. التفسير القرآني للقرآن. بيروت: دار الفكر العربي. ج: ١٢، ص ١٢٦٨.

^{٦٨} سورة غافر (٦٠).

^{٦٩} محمد قطب. منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار القلم. ص ٢٤٣ بتصرف.

٥. دعت قصص القرآن إلى الزواج، بصفته الأصل والركيزة الأساس في تهذيب الشهوة، بل لفت إلى جواز عرض الفتاة نفسها للزواج، لأنه إذا تزوج الفتى أو الفتاة، فذلك مظنة ستر العورة، وغض البصر، وتحصين الفرج، وهذا مبتغى التهذيب.
٦. من منهج القصص القرآني، الذم والإنكار، فهو من الأساليب التربوية المهمة، التي تعين في تهذيب الشهوة؛ فالنفس جُبلت على حب المدح وكره الذم، فإذا ذمها أحد وأنكر عليها فعلها، اشتمأت بفطرتها مما تقوم به، فارعوت وامتنعت.
٧. من منهج قصص القرآن، التحذير من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ومتبعي الشهوات، والتهديد بالعذاب والعقوبات لمن يخالف أوامر الله، ويستسلم للشهوة ولا يضبطها، وبإضافته لما سبق يصير ذلك أسلوباً تربوياً وقائياً شاملاً.
٨. دعت قصص القرآن المسلم إلى الاستعانة بالله واللجوء إليه، ليعينه على تهذيب شهوته، ويقويه من الفواحش المترتبة على الانغماس فيها، والأنجرار وراءها؛ والذي يستعين به ويلجأ إليه بصدق؛ فإنه بلا شك سيستجيب له ويعينه، فقد بين القرآن بأن الله أجاب جميع الأدعية التي صدرت ممن تعرض للفتنة بالشهوة، ليشير إلى حتمية الإجابة.
٩. من منهجية قصص القرآن، أنه ضرب للناس نماذج إيجابية لرجال ونساء، استعلوا على شهواتهم فكانوا قدوة حسنة للمتوسمين، وأخرى سلبية لمن غرقوا في شهواتهم للتحذير منهم ومن أعمالهم.
١٠. عرض القرآن الشهوة بين الرجل والمرأة في القصص القرآني بطريقة مهذبة لا تثير كوامن الغريزة بل تهذبها وتعالجها؛ لأن القرآن يريد تهذيب تلك الشهوة وليس إثارتها.

المراجع

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. د.ت. تهذيب اللغة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب. د.ت. المفردات في غريب القرآن. القاهرة: المكتبة التوفيقية، ط ١.
- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي. د.ت. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. ٢٠٠٣. صحيح البخاري. المنصورة: مكتبة الإيمان.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، ط ١.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. ١٩٦٩. كتاب التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان، ط ١.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. ١٩٧٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. ٢٠٠٧. القصص القرآني. دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ط ٢.

- الخطيب، عبد الكريم. د.ت. التفسير القرآني للقرآن. بيروت: دار الفكر العربي.
- الرازي، محمد بن عمر الفخر. د.ت. التفسير الكبير. طهران: دار الكتب العلمية، ط ٢.
- الزبيدي، محمد مرتضى. د.ت. تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار مكتبة الحياة، ط ١.
- الزحيلي، وهبة. ١٩٩١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. بيروت: دار الفكر المعاصر، ط ١.
- الزخشري، محمود بن عمر. د.ت. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل. بيروت: دار المعرفة، ط ١.
- أبو السعود، محمد بن محمد. د.ت. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١.
- الشعراوي، محمد متولي. د.ت. تفسير الشعراوي. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ط ١.
- الشنقيطي، محمد الأمين. ١٩٦٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. د.م: د.ن. صليبا، جميل. ١٩٨٢. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ابن أبي طالب، علي. ١٤٢٦هـ. ديوان علي بن أبي طالب. القاهرة: مؤسسة المختار، ط ١.
- الطبري، محمد بن جرير. ١٣٩٨هـ. جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة، ط ٣.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٩٧. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون، ط ١.
- ابن فارس، أحمد. د.ت. معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر، ط ١.
- القرطبي، محمد بن أحمد. ١٣٨٧هـ. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكاتب العربي، ط ١.
- قطب، سيد. ١٩٧١. في ظلال القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٧.
- قطب، محمد. ١٩٨٠. دراسات قرآنية. بيروت: دار الشروق، ط ٢.
- قطب، محمد. د.ت. منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار القلم.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ١٣٨٨هـ. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- مسلم، بن الحجاج. ١٤٢١هـ. صحيح مسلم. بيروت: دار الفكر.
- مصطفى، إبراهيم ورفاقه. د.ت. المعجم الوسيط. إستانبول: دار الدعوة.
- المناعي، عبد الرؤوف. ١٩٩٠. التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. د.ت. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط ١.
- المودودي، أبو الأعلى. د.ت. الحجاب. بيروت: دار الفكر.
- نوفل، أحمد. ١٤٠٩هـ. سورة يوسف دراسة تحليلية. الأردن: دار الفرقان، ط ١.
- النووي، يحيى بن شرف. ١٩٧٨. صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت: دار الفكر، ط ٣.
- النيسابوري، الحسن بن محمد. ١٩٩٦. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.

REFERENCES

- Abu Al-Sa'ud, Muhammad bin Muhammad. N.d. *Tafsir Abi Al-Sa'ud Al-Musamma Irshad Al-'Aql Al-Salim Ila Mazaya Al-Qur'an Al-Karim*. Bayrut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabiyy.
- Al-Alusiyy, Shihab Al-Din Mahmud Al-Baghdadiyy. N.d. *Ruh Al-Ma'ani Fi Tafsir Al-Qur'an Al-'Azim Wa Al-Sab'i Al-Mathani*. Bayrut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabiyy.
- Al-Asfahaniy, al-Hussayn bin Muhammad Al-Raghib. N.d. *Al-Mufradat Fi Gharib Al-Qur'an*. Al-Qahirah: Al-Maktabat Al-Tawfiyyah.
- Al-'Asqalaniy, Ibn Hajar. 1978. *Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhariyy*. Al-Qahirah: Maktabat Al-Kulliyyat Al-Azhariyyah.
- Al-Azhariyy, Abu Mansur Muhammad bin Ahmad. N.d. *Tahdhib Al-Lughah*. Al-Qahirah: Al-Dar Al-Misriyyah Li al-Ta'lif Wa Al-Tarjumah.
- Al-Baydawiyy, 'Abdullah bin 'Umar. N.d. *Anwar Al-Tanzil Wa Asrar Al-Ta'wil*. Bayrut: Mu'assasah Sha'ban Li al-Nashr Wa Al-Tawzi'.
- Al-Bukhariyy, Muhammad bin Isma'il. 2003. *Sahih Al-Bukhariyy*. Al-Mansurah: Maktabat Al-Iman.
- Ibn Abi Tlib, 'Aliyy. 1426H. *Diwan 'Aliyy bin Abi Talib*. Al-Qahirah: Mu'assasat Al-Mukhtar.
- Ibn 'Ashur, Muhammad Al-Tahir. 1997. *Al-Tahrir Wa Al-Tanwir*. Tunis: Dar Sahnun.
- Al-Jurjaniyy, 'Aliyy bin Muhammad Al-Sharif. 1969. *Kitab Al-Ta'rifat*. Bayrut: Maktabah Lubnan.
- Ibn Faris, Ahmad. N.d. *Mu'jam Maqayis Al-Lughah*. Bayrut: Dar Al-Fikr.
- Al-Khalidiyy, Salah 'Abd Al-Fattah. 2007. *Al-Qasas Al-Qur'aniyy*. Dimashq: Dar Al-Qalam.
- Ibn Kathir, Isma'il bin 'Umar. 1388H. *Tafsir Al-Qur'an Al-'Azim*. Bayrut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabiyy.
- Ibn Manzur, Jamal Al-Din Muhammad bin Mukarram. N.d. *Lisan Al-'Arab*. Bayrut: Dar Sadir.
- Al-Khatib, 'Abd Al-Karim. N.d. *Al-Tafsir Al-Qur'aniy Li al-Qur'an*. Bayrut: Dar Al-Fikr Al-'Arabiyy.
- Al-Manawiyy, 'Abd Al-Ra'uf. 1990H. *Al-Tawqif 'Ala Muhimmat Al-Ta'arif*. Al-Qahirah: 'Alam Al-Kutub.
- Al-Mawdudiyy, Abu Al-A'la. N.d. *Al-Hijab*. Bayrut: Dar Al-Fikr.
- Muslim bin Al-Hajjaj. 1421H. *Sahih Muslim*. Bayrut: Dar Al-Fikr.
- Mustafa, Ibrahim Wa Rufaqa'uh. N.d. *Al-Mu'jam Al-Wasit*. Istanbul: Dar Al-Da'wah.
- Al-Nawawiyy, Yahya bin Sharaf. 1987. *Sahih Muslim Bi Sharh Al-Nawawiyy*. Bayrut: Dar Al-Fikr.
- Al-Naysaburiyy, Al-Hasan bin Muhammad. 1996. *Tafsir Ghara'ib Al-Qur'an Wa Ragha'ib Al-Furqan*. Bayrut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.
- Al-Qurtubiyy, Muhammad bin Ahmad. 1387H. *Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an*. Al-Qahirah: Dar Al-Kitab Al-'Arabiyy.
- Nawfal, Ahmad. 1409H. *Surah Yusuf Dirasah Tahliliyyah*. Al-Urdun: Dar Al-Furqan.
- Qutub, Muhammad. 1980. *Dirasat Qur'aniyyah*. Bayrut: Dar Al-Shuruq.
- Qutub, Muhammad. N.d. *Manhaj Al-Tarbiyyat Al-Islamiyyah*. Al-Qahirah: Dar Al-Qalam.
- Qutub, Sayyid. 1971. *Fi Zilal Al-Qur'an*. Bayrut: Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabiyy.
- Al-Raziyy, Muhammad bin 'Umar Al-Fakhr. N.d. *Al-Tafsir Al-Kabir*. Tehran: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.
- Saliba, Jamil. 1982. *Al-Mu'jam Al-Falsafiyy*. Bayrut: Dar Al-Kitab Al-Lubnaniyy.
- Al-Shanqitiyy, Muhammad Al-Amin. 1967. *Adwa' Al-Bayan Fi Idah Al-Qur'an Bi Al-Qur'an*. N.p: N.pb.
- Al-Sha'rawiy, Muhammad Mutawalli. 1967. *Tafsir Al-Sha'rawiyy*. Al-Qahirah: Matba'ah Akhbar Al-Yawm.
- Al-Tabariyy, Muhammad bin Jarir. 1398H. *Jami' Al-Bayan Fi Tafsir Al-Qur'an*. Bayrut: Dar Al-Ma'rifah.
- Al-Zamakhshariyy, Mahmud bin 'Umar. N.d. *Al-Kashshaf 'An Haqa'iq Al-Tanzil Wa 'Uyun Al-Aqawil Fi Wujuh Al-Ta'wil*. Bayrut: Dar Al-Ma'rifah.
- Al-Zubaydiyy, Muhammad Murtada N.d. *Taj Al-'Arus Min Jawahir Al-Qamus*. Bayrut: Dar Maktabat Al-Hayah.

Al-Zuhayliyy, Wahbah. 1991. *Al-Tafsir Al-Munir Fi Al-'Aqidah Wa Al-Shari'ah Wa Al-Manhaj*.
Bayrut: Dar Al-Fikr Al-Mu'asir.

إنكار

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.